العلاقات بين السيد أحمد الشريف ومصطفى كمال أتاتورك
وأثرها على حركة الجهاد الليبي

د. عبد المولى الحرير

يتتبع هــذا البحث[1] تحليل الأبعاد الايجابية والسلبية للعلاقات بين أحمــد الشريف السنوسى ومصطفى كمال أتاتورك وآثار تلك العلاقات على مسار حركة الجهاد ضد العدوان الايطالى على ليبيا منذ سنة ١٩١١ وما بعدها . وسوف تعتمد هذه المقالة على ما نشره الشيخ عبد المالك بن عبد القادر الدرسى الذى لازم السيد أحمد الشريف في أثناء غربته في تركيا وحتّى وفاته بالمدينة .

ان العلاقة بين أحمــد الشريف وضباط منظمــة التشكيلات المخصوصة العثمانية في الفترة الواقعة ما بين ١٩١١ — ١٩١٨ ، يعد استمرارا طبيعياً للعلاقات التاريخية العريقة بين أسلافه الأوائل وبين سلاطين الدولة العثمانية .

وقد استعرض أحمد الشريف العلاقات التاريخية بين أسلافه والعثمانيين في مخطوط له بعنوان: الدر الفريد الوهاج في الرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج (٢) .

---

١ — يشكل هذا البحث فى جزء منه محاضرة ألقيت فى مؤتمر العلاقات العربية الليبية التركية المنعقد تحت رعاية مركز جهاد الليبيين بطرابلس فى سنة ١٩٨١ ومنذ ذلك الحين عملت على تطويرها حتى خرجت فى هذا الاطار .

٢ — أحمد الشريف السنوسى ، مخطوط الدر الفريد الوهاج فى الرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج .
ألف هذا الكتاب فى أثناء انتقال المهدى السنوسى من الجغبوب إلى الجنوب الليبى قبيل ازدياد النفوذ الفرنسى فى جنوب الصحراء .

غير أن الطابع العام للمواقف التقليدية لرواد الحـركة السنوسية جـرى عليها تغيير جوهرى في عهد أحمد الشريف وهذا التغيير في رأينا اقتضاه أمران : الأول تكالب القوى الاستعمارية على تمزيق العالم الاسلامى إلى كيانات استعمارية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأما الأمر الثاني فهو يعود إلى طبيعة تكوين شخصية أحمد الشريف نفسه ، الذى عرف بالصلابة والاستقامة في المعاملات مع الآخرين بدون تجنب أو مراوغة حتى ولو كلفه هذا المسلك أو ذاك الكثير .

ويمكن أن نضيف عاملا ثالثاً وهو أن أحمد الشريف وهو يشاهد بناظريه تكالب وتناحر القوى الاستعمارية على اقتسام العالم الاسلامى وتهديد وحدة الأمبراطورية العثمانية ككيان سياسى تمثل فيه حماية العالم الاسلامى ، دعاه هذا الموقف إلى أن يخرج من قمقم العزلة السياسية الذى اعتور علاقات أسلافه مع الأنظمة المعاصرة لهم ، ولذا نرى عهده يمثل صفحة جديدة انعكس فيها التعامل المباشر مع السلطات العثمانية وكان يقف صلباً كلما حاولت السلطات العثمانية الاستفادة منه حيناً ولفظه حيناً آخر .

ويعد الوفاق الفرنسى البريطاني الموقع في ٢١ من مارس سنة ١٨٩٩ الذى بموجبه أطلقت يد فرنسا حرة في التوسع في جنوب الجزائر إلى مناطق الصحراء وحوض تشاد والنيجر ، دافعاً رئيساً قـرّب من وجهات النظر بين أحمـد الشريف والسلطات العثمانية ، فأحمد الشريف رأى في التوسع الفرنسى في الصحراء تهديداً مباشراً لحركته الدينية التبشيرية وتجارة القوافل التى كانت تدعم بمردوداتها الاقتصادية نظام زواياه في تلك المناطق .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فانه رأى — بعد العدوان الفرنسى وتقهقر قواته في موقعة بئر علالى سنة ١٩٠٢ م — ضرورة أن تُعرف وجهة نظره في المحافل الدولية فيما يتعلق بصراعه مـع فرنسا في الصحراء الكبرى فكيف إذاً يمكن له أن يعرف العالم الاسلامى والدول المسيحية وجهة نظره في هذا الصراع ؟ ! إن الدولة العثمانية من وجهة نظره هى الإطار بـل والمنبر الوحيد الذى يمكن أن يُسمع من خلاله صوته للعالمين الاسلامى والمسيحى فيما يخص هذا الصراع .

ويلاحظ المرء بعد تطور هذا الموقف أن تقارباً ملموساً بينه وبين السلطات العثمانية بدأ يظهر إلى حيّز الوجود . وقد تمخض تبادل الوفود بينه وبين السلطات العثمانية عن تعيين عمر الكيخيا ، عضو منطقة بنغازى في مجلس المبعوثان العثماني ليرفع علم الامبراطورية بشكل علنى لأول مرة في الكفرة سنة ١٩٠٨ م . وكان الهدف من ذلك هو تحذير فرنسا من التماس أى توسع استعمارى نحو الشمال وتنبيهها الى أن تلك الأصقاع تقع ضمن أملاك الامبراطورية . وقد تعاظم وجود الأتراك العثمانيين في جنوب

الصحراء الليبية عندما وافق أحمد الشريف على تعيين قائم مقام من أتباعه ينحدر من أصل عربي ، ألا وهو الكيلاني الأطيوش الذى تسلم مهام منصبه كموظف عثماني في الكفرة سنة ١٩١٠ مصحوباً بقوة عثمانية رمزية قوامها خمسون جندياً .

وقد اقتضت الضرورة إلى تطوير العلاقات بين أحمد الشريف والدولة العثمانية عقب العدوان الايطالى على السواحل الليبية في أواخر عام ١٩١١ م .

وإزاء أزمة الغزو الايطالى التى استهدفت بتر إقليم طرابلس الغرب وبرقة من جسم الامبراطورية العثمانية تطلب الأمر من السلطات العثمانية شحذ الهمم الاسلامية .

وقد وجدت الامبراطورية نفسها مرة أخرى في حاجة إلى التعاون الايجابي المباشر مع الشخصيات البارزة في العالم الاسلامى حينئذ ، وبطبيعة الحال يأتي أحمد الشريف في مقدمة هؤلاء الزعماء. وقد تم هذا التعاون الجديد بين أحمد الشريف والدولة العثمانية في اطار التفاهم بينه وبين فئة من الضباط الأتراك المنضوين تحت لواء منظمة التشكيلات المخصوصة السرية بريادة بعض منهم أمثال أنور باشا ومصطفى كمال .

ويمثل التعاون بين أحمد الشريف وهذه المنظمة أوج العلاقات الايجابية بينه وبين الامبراطورية العثمانية . فهؤلاء الضباط الشبان المتأرجحون بين فكرة انعاش القومية الطورانية وبين احياء الروح الاسلامى ، وجدوا في أحمد الشريف ضالتهم المنشودة كشخصية اسلامية قيادية يجب الالتفاف حولها لرفع راية الجهاد بين الليبيين . فجهاد السيد أحمد الشريف ضد فرنسا في تشاد والنيجر ومواقفه الاسلامية الصارمة في وجه التعاظم الأوروبي في العالم الاسلامى استقطب حماسهم وحميتهم في الدفاع عن صرح الامبراطورية من التهالك أمام ضربات الدول الاستعمارية .

ويهمنا من شأن منظمة التشكيلات المخصوصة المذكورة مدى العلاقة بين أحد أعضائها المهمين وهو مصطفى كمال وأحمد الشريف ، فالعلاقة بين هذين الزعيمين اتسمت بالود والتعاون طيلة عام ١٩١١ ــ ١٩١٢ . ويشير أنور باشا مراراً في مذكراته التى دونها في ذلك العام الحاسم من العلاقات ١٩١١ــ١٩١٢ في أثناء اقامته في قطاع درنة بأن العلاقات مع أحمد الشريف انطبعت بالايجابية ، فأنور باشا ومعاونه مصطفى كمال كانا يستشيران أحمد الشريف وأعوانه وأتباعه في كل صغيرة وكبيرة في أمور مقاومة الغزو الايطالى (٣) . ويتضح من مذكرات أنور باشا أنه شخصياً كان يحظى برضا من أحمد الشريف الأمر الذى أوغر صدر منافسه التركى مصطفى كمال . وقد أشار أنور باشا

---

٣ ــ تعكس مذكرات أنور باشا طبيعة العلاقات بينه وبين أحمد الشريف الذى كان مقيماً فى الجغبوب حتى سنة ١٩١١ ــ ١٩١٢ . فالوفود ذات الطابع التشاورى بينهما كانت مستمرة ، وكان أنور بك يسعد

إلى ذلك صراحة في اليوم الذى تسلم فيه مرسوم ترقيته الاستثنائية[٤]،تلك الترقية التى انفرد بها دون زملائه الضباط الأتراك وقد أخفى أمرها خشية ان توغر صدور منافسيه الذين كان يفاخرهم بصداقته الشخصية لأحمد الشريف ، تلك الصداقة التى أعطته أرضية صلبة وسمعة واسعة ليس بين المجاهدين الليبيين فحسب بل وفي العالم الاسلامى .

لقد كانت تلك الصداقة بطبيعة الحال على حساب مصطفى كمال الخصم المستقبلي المستتر لأنور باشا، وسنرى فيما بعد كيف أن العلاقات الوطيدة بين أحمد الشريف وأنور باشا تركت آثاراً بعيدة الأغوار في العقل الباطن لمصطفى كمال ، الذى ربما عدّ أن صداقة أنور باشا لأحمد الشريف كانت سبباً في تدني سمعته بين المجاهدين الليبيين وفي تركيا نفسها الأمر الذى انعكس سلبياً على علاقاته باحمد الشريف بعد أن آلت أمور تركيا بأسرها إلى يديه الحديديتين كما سنرى .

إن العصر الذهبي للعلاقات بين أحمد الشريف والضباط الأتراك سرعان ما تبدد نظراً لتفاوت وجهات النظر بين الطرفين فيما يتعلق بتوصل العثمانيين والايطاليين إلى بنود اتفاقية « لوزان » في أواخر عام ١٩١٢ م ، تلك الاتفاقية التى تم بموجبها نفض يد تركيا من القضية الليبية لمصلحة ايطاليا .

فالدولة العثمانية أمام تراكم مشاكلها الداخلية وجدت نفسها مضطرة للوصول إلى صيغة اتفاق ولومؤقتاً مع الطليان الغزاة. أما أحمد الشريف القوى الايمان فيعقيدته فكان لايعبأ أمام هذا الايمان الراسخ بكل المعادلات التى واكبت القضية الليبية . فنجده في أواخر سنة ١٩١٢ م يعكف على تأليف كتاب بعنوان : « بغية المساعد في أحكام المجاهد »[٥] أفاض في الحديث فيه عن الواجب المقدس لكل مسلم إزاء رفع راية الجهاد ضد الغزاة برغم كل الصعاب مستنكراً فيه كل أنماط التذرع والتحجج بضعف المسلمين وقوة المعتدين مذكراً المجاهدين بأنهم مأمورون سماوياً برفع عصا الثورة برغم ما تمتلكه إيطاليا من

كثيراً بتسلم ردود أحمد الشريف،أنظر ما دونه أنور باشا فيما بعد فى نهاية شهر مايو سنة ١٩١٢. أنظر، أنور باشا ، مذكرات أنور باشا فى طرابلس الغرب ترجمة عبد المولى الحرير ومراجعة حبيب الحسناوى ، منشورات مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبى ،سنة ١٩٧٩ ص ٦٥ – ٧١ – ٧٢، ٧٩ ، ٨٠، ٨٩ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٧ .

٤ – تسلم أنور بك أنباء ترقيته إلى رتبة مقدم يوم ١٧ من يونية سنة ١٩١٢ ودون ذلك قائلا : « وصلت إلى من اسطنبول أنباء ترقيتى إلى رتبة مقدم وبرغم انى جدير بهذه الترقية بحسب سنوات خدمتى العسكرية فقد وجدت انه ينبغى على كتمان خبرها إلى نهاية الحرب تجنباً لما قد تثيره من حسد لدى زملائى الضباط » أنظر المذكرات ، ص ٧٦ .

٥ – نشر كتاب : (بغية المساعد فى أحكام المجاهد) فى القاهرة سنة ١٩١٣ .

عتاد وعدة .

وقد اقتضى تصلب أحمد الشريف لمبدإ استمرارية الجهاد برغم تخلى تركيا عن تحمل مسؤولياتها التاريخية ، اقتضى هذا الوضع دفع العلاقات بين الطرفين إلى خطوات متقدمة لمواجهة التبعات الجديدة . ويذكر أنور باشا في يومياته أنه عندما استدعته وزارة الحربية التركية عقب التوصل إلى بنود اتفاقية (لوزان) قام بعقد اجتماع لضباط التشكيلات المخصوصة في وادي درنة حضره وفد ممثل لاحمد الشريف تألف من أربعين عضواً من الشخصيات البارزة في الجهاد الليبي . وقد عرض أنور باشا في ذلك الاجتماع مشروعاً من خمس نقاط عمل انعكست فيها توحيد وجهات النظر بين أحمد الشريف وضباط التشكيلات المخصوصة فيما يتعلق بأمر سدّ الفراغ السياسى الذى أعقب الانسحاب التركى الرسمى من الإقليم ومرسوم الضم الايطالى للبلاد رسمياً . فالنقاط الخمس التى دعت إلى تشكيل حكومة محلية لتأخذ على عاتقها مهام الجهاد ضد الغزو الايطالى وإن كانت تمثل من وجهة نظر السلطان العثماني سياسة نفض اليد من القضية الطرابلسية وحفظ ماء الوجه أمام الشعوب الاسلامية إلا أنها في الوقت نفسه أضفت نوعاً من الشرعية السياسية على حركة الجهاد الليبي خاصة بعد إصدار المرسوم السلطاني بتعيين أحمد الشريف نائباً عن السلطان العثماني في الشمال الأفريقى (٦) .

وتمثل هذه النقاط الخمس التى سنتناولها فيما بعد المرحلة الأولى في سلسلة من ثلاث محاولات لسد الفراغ السياسى الناجم عن الإنسحاب التركى ، ويحسن بنا أن نعدد هذه المحاولات السياسية الثلاث التى كان أحمد الشريف طرفاً مباشراً في ثلاثتها ، وكان الطرف الثاني ــ وهم ضباط التشكيلات المخصوصة ــ يرمون في كل محاولة إلى تحديد أدوار أحمد الشريف بحيث يقع في إطار سياسات تلك المنظمة المحدودة كلما اقتضتها الحاجة الماسة بأمر الامبراطورية العثمانية ومصالحها الحيوية في المنطقة .

أما أحمد الشريف فكان يهمه أن يتعاون مع السلطان العثماني كشخصية تتمثل فيها مؤسسة الخلافة الإسلامية التى تعكس وجهة نظره الرامية إلى استقطاب جهد المسلمين كافة حول شخص الخليفة العثماني بتحدى الاستعمار الأوروبي الهادف إلى تجزئة العالم الاسلامى .

وفي كل هذه المحاولات كان أحمد الشريف لايخرج عن هذا الإطار وقد شكلت

---

٦ – بدد المرسوم السلطانى الذى منح لأحمد الشريف صفة النيابة عن السلطان فى الشمال الأفريقى، بدد ولو لحين من الزمن الشكوك والنزعات الاقليمية ذات الطابع السلبى الذى اتسمت به قيادات حركة الجهاد الليبى فى بواكيرها .

هذه المسألة «أى تطويعه من قبل منظمة التشكيلات المخصوصة ودفعه إلى جبهة تدعوه لمهاجمتها» شكلت معضلة جوهرية في العلاقات بين أحمد الشريف والدولة العثمانية وأصبحت فيما بعد حجر الأساس في الخلاف المتنامى في وجهات النظر بين الطرفين التى صعب تلافيها مع مرور الزمن .

تعود جذور التفكير في تشكيل هيكل سياسى ليحل محل الادارة العثمانية التى تقوضت ركائزها عقب الغزو الإيطالى المباشر إلى أواخر سنة ١٩١٢ . لقد سبب سقوط المدن والقرى الرئيسة في أيدى الايطاليين ارتباكاً في جميع أوجه الحياة وخاصة بعد ارتداد القوات العثمانية إلى الدواخل أمام ضربات الجيوش الايطالية الغازية . وقد نجم عن ذلك اضطراب ملموس في الأمن العام والحياة الاقتصادية والمواصلات والتعليم كما فتح سقوط المدن الليبية في أيدى الغزاة الطريق إلى التعاون بين الطليان وبعض الزعامات المحلية ، الأمر الذى أزعج أحمد الشريف والضباط الأتراك على حـــد سواء . فضباط التشكيـــلات المخصوصة الذين تقاطروا على البلاد في أواخر شهر نوفمبر من سنة ١٩١١ م . وخاصة أنور باشا ومصطفى كمال شعروا بالحاجة الماسة إلى التعاون مع أحمد الشريف في إخراج هيكل سياسى إلى حيز الوجود فإخراج هذا الهيكل دعا بطبيعة الحال إلى التفاف المواطنين الليبيين حوله ومعاضدته وبالتالى قطع الطريق أمام التسابق في تعاون الليبيين المبكر مع الإيطاليين وخاصة بين طبقات التجار وأصحاب رؤوس الأموال وزعماء القبائل والمحلات . كما أن وجود نظام سياسى جديد يدعمه أحمد الشريف برصيده القيادى كشخصية إسلامية لها شأنها ، يمد الحياة من جديد في النظام الاقتصادى والأمنى والثقافي علاوة على إذكاء روح الثورة المعنوية والوطنية بين المجاهدين .

تعزّز الاتجاه الداعى إلى انشاء حكومة وطنية بزعامة أحمد الشريف مباشرة بعد الاتفاق الإيطالى العثماني في «لوزان» بالتخلى عن (ليبيا) لمصلحة إيطاليا . فأنور باشا دون لنا ما كان يدور في ذهنه وأذهان رفاقه من ضباط منظمـــة التشكيلات المخصوصة عقب تسلمه لبرقية استدعاء من وزارة الحربية التركية في أواخر ١٩١٢ (٧) وقد أجريت اتصالات مكثفة بين أنور بك ورفاقه من الضباط الأتراك من جانب وأحمد الشريف من جانب آخر انصب الحديث فيها على الترتيبات الأساسية التى وجب اتخاذها عقب الانسحاب التركى الرسمى من البلاد ، وقد تمخضت الاتصالات المكثفة بين أحمد الشريف وأنور بك عن إرساء الخمس نقاط التى ذكرها استنكاراً لموقف الحكومة العثمانية الضعيف المتنصل من القضية الليبية وهذه النقاط هى :

---

٧ - أنظر مذكرات أنور باشا ، ص ١٠١ .

١ – أن يبقى فريق من ضباط التشكيلات المخصوصة في طرابلس وبنغازى ليواصل الكفاح ضد الايطاليين .

٢ – في حالة انقطاع المدد من استانبول فان على هؤلاء الضباط تشكيل حكومة باسم : (افريكا دولتلار قروبو) أى اتحاد الدول الأفريقية تحت رئاسة أحمد الشريف السياسية والتى اطلق عليها بعد مغادرة أنور بك قطاع درنة اسم الحكومة السنوسية .

٣ – تقسيم الأقاليم إلى مناطق دفاع معينة تحت قيادة ضباط لهم دراية كاملة بأمور الدفاع ، فمصطفى كمال الذى كان يعالج في فينا يعود إلى قطاع درنة ليحل محل أنور بك، وسليم سامى شقيق أشرف كوجوشى باشى يأتي إلى برقة ليتولى مهام أخيه المتعلقة بحرب العصابات .

٤ – ولكى تضع جماعة هؤلاء الضباط السلطان العثماني ووزراءه في موقف حرج فقد قرروا الاستقالة من الخدمة العسكرية من الجيش العثماني وبالتالى إعلان استقلال طرابلس وبرقة .

٥ – قرر هؤلاء الضباط شن هجوم على جميع الجبهات الايطالية لاحباط ما تم التوصل إليه من اتفاق طبقاً لمعاهدة أوشى لوزان .[٨]

غير أن هذه الاجراءات لم يكتب لها النجاح نظراً للتطورات المفاجئة في حرب البلقان وهزيمة الجيوش العثمانية وتقهقرها إلى كتالاكا الأمر الذى أدى بأنوربي إلى العودة مسرعاً إلى اسطنبول لانقاذ الامبراطورية من هزيمة ساحقة كانت تنتظرها ، أما المحاولة الثانية من سدّ الفراغ السياسى فتنعكس في محاولات المجهودات الموحدة بين تركيا وألمانيا لمواجهة الحلفاء في الحرب العالمية الأولى ، وتطلب الأمر إعادة بناء جسور الصداقة مع أحمد الشريف التى طرأ عليها بعض الفتور بعد تخلى عدد من الضباط الأتراك عن مساندته بل وارتكب بعض منهم أعمال عنف وذلك بالتصدى لاستمرارية روح المقاومة التى عرف بها أحمد الشريف بدون تردد. ومن أجل بعث الحماس في روح المقاومة ومن أجل تحقيق تعاون مثمر ومستمر مع أحمد الشريف فقد وصل وفد تركى ألماني يتألف من نورى بى شقيق لأنور باشا وبرفقته لفيف من الضباط العثمانيين برفقة وفد ألماني ترأسه ألماني يدعى أوتو مانسمان . ويفصح تقرير للسفير الألماني في اسطنبول فون فانجنهايم في شهر ديسمبر عام ١٩١٤ م عن المحاولات التركية ـ الألمانية الموحدة من أجل إقناع أحمد الشريف بإيقاف العمليات العسكرية ضد إيطاليا ومن ثم إقناع السلطان العثماني بإعلان الجهاد المقدس ضد الاستعمار البريطاني في مصر . وقد تم التفاوض بين هذه الأطراف في قرية امسيعيد

٨ – أنظر المصدر السابق ، ص ٢٦ .

على أطراف الحدود الليبية المصرية ومن أهم النقاط التى تمت مناقشتها مدّ العون المالى والسلاح لاحمد الشريف ليقوم بتجنيد قوات من بين أبناء الصحراء الغربية تمهيداً لشن هجوم ضد الانجليز في مصر. وليس لدينا من الشواهد ما يثبت إثارة ما إذا كان يجب إقامة دولة اسلامية بزعامة أحمد الشريف في الشمال الأفريقى، غير ان هناك تقريراً عثر عليه في الأرشيف العسكرى الألماني يشمل اقتراحاً أعده أوتو مانسمان الذى حضر اللقاء المذكور سلفاً بين أحمد الشريف ونورى بى في قرية امسيعيد . ومن أهم النقاط التى تحويها هذه الوثيقة التى تنطوى على مواد أساسية تدعونا إلى الاعتقاد بأن مسألة تشكيل هيكل سياسى يشمل رقعة جغرافية واسعة تحت زعامة أحمد الشريف ربما كانت مثاراً للجدل في لقاء امسيعيد وربما كان عدم التعجيل بالايفاء بوعود الألمان والأتراك سبباً في مراوغة أحمد الشريف لحلفائه الأتراك والألمان فيما يتعلق بشن الهجوم ضد الانجليز في مصر . ويحسن بنا هنا أن نعدد أهم الأسس التى كانت ماثلة للنقاش بين أحمد الشريف والأتراك والألمان ، كما تعكسها الوثيقة المذكورة وهى :

١ – أن يتوصل أحمد الشريف إلى اتفاق صلح مع إيطاليا ويسحب قواته من برقة ويتبادل الأسرى مع إيطاليا .

٢ – أن يشن بكل قواته هجوماً مباشراً على الانجليز في مصر والسودان لكى يطردهم من مواقعهم ويدمّر وسائل اتصالاتهم وإمداداتهم معاوناً الجيش التركى بكل ما يملك لكى يضع حداً للحكم البريطاني في مصر .

٣ – وعلى الحكومة الألمانية ألا تدخر وسعاً في أن تضمن لأحمد الشريف النقاط التالية :

(أ) حرية دينية في البلاد الواقعة بين مراكش ومصر .

(ب) انشاء إمارة مستقلة (تحت حكمه) في المنطقة الممتدة بين طرابلس ومصر وبحيرة تشاد وأن يكون لها امتداد لشواطىء البحر المتوسط .

(ج) ألمانيا سوف تكون على استعداد لإمداد أحمد الشريف بضباط تدريب وعتاد حربي بسعر التكلفة الأساسية (٩) .

ويبدو واضحاً من واقع البنود المذكورة سلفاً أن المخابرات الألمانية والعثمانية تقدمت بالشروط السابقة وهى مـــدركة أنها قضايا تقع في إطـــار طموحات أحمد الشريف

---

٩ – أنظر :

L. Rathman "Archive Materials on the Modern History of Libya" *Africa Studies* dedicated to the III International Congress of Africanists in Adis Abeba, 1973, pp. 53—67.

الدينية في المنطقة الجغرافية المشار إليها في البند الثالث . وفضلا عن ذلك فقد وعد الألمان بتقديم المعونات العسكرية والمادية التى كانت قيادة أحمد الشريف في مسيس الحاجة إليها غير أن هذه المساعدات الموعودة عرضت بشكل مشروط بتحقيق أمرين اثنين :

الأول : أن يتوصل أحمد الشريف إلى اتفاقية صلح مع الطليان تتوقف بموجبها العمليات العسكرية بين الطرفين .

الثانى : أن يوجه نضاله ضد الانجليز في مصر والسودان .

ويلاحظ المرء من كل هذه المحاولات أن الشرط الأخير يقف شامخاً كهدف جوهرى كان الألمان والأتراك يسعون إلى انجازه لمصلحتهم بواسطة قوات أحمد الشريف ، والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو: هل كان أحمد الشريف مدركاً تماماً لخبايا هذه اللعبة المغلفة في ثوب الصداقة الألمانية والحماس الجهادى للسلطان العثماني ضد « الكفار » الإنجليز في مصر ؟ .

إن الإجابة عن هذا التساؤل لاتتأتي إلا بعد أن نستعرض التطورات الحثيثة والمعقدة التى مرت بها العلاقات بين أحمد الشريف وضباط التشكيلات المخصوصة العثمانية في أثناء الفترة من ١٩١٣ إلى ١٩١٦ م .

ويمكننا أن نتعرف على وجهة نظر أحمد الشريف فيما يخص البند الأول من الشروط الواردة في الوثيقة الألمانية التى طلبت إليه التفاوض المباشر مع الطليان وتعليق العمليات العسكرية ضدهم . فقد كان يرى أن الطليان غزاة «كفرة» داهموا بلاده بحجة حماية مصالحهم الاقتصادية ، والمعروف تاريخياً أنه لم يتردد في تسجيل هذا الموقف نظرياً وعملياً ، فالبيان الذى نشرته مجلة المنار المصرية في مطلع سنة ١٩١٢ م لا يرفض جملة وتفصيلا التفاوض والتصالح مع الغزاة الطليان فحسب بل يحث بكل إصرار المواطنين الليبيين على حمل السلاح والحذر من التعامل مع العدو : فيقول (ولا تصدنكم عن جهادكم كثرة عُدَد ولا عَدَد فإن قوة الإيمان يتلاشى في جنبها كل عدد فجموعهم المعسكرة مكسرة ولا ترتدوا على أدباركم لضعفٍ من بعض أمرائكم). وقد حذر مواطنيه وخصومه الموالين للطليان بالفشل والبوار في الدنيا والآخرة قائلا :

(إن ترك الجهاد خروج عن الدين،وإذا كان القاعد عنه خارجاً عن الدين فكيف بمن يبايع الكفار بحطام الدنيا على قتال المسلمين ، فالله الله عباد الله خلصوا أنفسكم وأعراضكم من أيدى الكفار واغسلوا يا ذوى الهمم ملابس مروءتكم من العار وجاهدوا بالأنفس والأموال) . (١٠) .

---

١٠ – منشور للسيد أحمد الشريف نشر فى مجلة المنار بالقاهرة الجزء الخامس عشر صفحات ١٠٩ – ١١١ .

ولأحمد الشريف العديد من الوثائق الخطية التي تدعم هذا الخط الفكرى المتصلب الذى اختاره لنفسه . وفضلا عن هذا المنهج النظرى فيما يتعلق بمسألة رفع راية الجهاد فإنه عزّزه على أرضية الواقع بالممارسة العملية في دفعه لعصا الثورة الشعبية المسلحة منطلقاً من أن الجهاد « الثورة » التي يخوضونها كانت عليهم (فرض عين) انطلاقاً من مفاجأة العدو لحرمة البلاد .

إن تطور الأحداث الداخلية والخارجية المرتبط بحركة الجهاد الليبي تولدت عنها مشاكل حادة وضعت أحمد الشريف في موقف صعب على الصعيدين الداخلي والخارجي فعلى الصعيد الداخلي تطورت الأحداث عقب موقعة القرضابية تطوراً سلبياً لغير مصلحة الحركة الوطنية فالمجاهد رمضان السويحلي ومن صار في ركبه اتخذوا خطاً معادياً لاحمد الشريف نجم عنه الحد من تطور شعبية هذا الزعيم في جبهة طرابلس . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فانسحاب عزيز على المصرى مع العديد من الضباط الأتراك (القوة المدربة في قيادة أحمد الشريف العسكرية) عقب موقعة يوم الجمعة وما ترتب على ذلك من مشاكل ومصادمات بين أعوانه والأتراك سبب ارتباكاً ملحوظاً في حركة الجهاد وتوتراً في العلاقات بين الضباط الأتراك وأحمد الشريف جعلته فيما بعد يتعامل معهم بحذر شديد كما سنرى .

إن ظهور أزمة حادة في العلاقات بين أحمد الشريف ورمضان السويحلي يدعمه لفيف من زعماء القبائل والمحلات ذوى المصالح السياسية والاقتصادية والجهوية المتضاربة اضافة إلى بروز الشيخ سليمان الباروني في حلبة هذا الصراع ، وسّع دوامة هذا الصراع الداخلي في حركة المقاومة الليبية وجعل منها ورقة رابحة للمزايدات في أيدى ضباط التشكيلات المخصوصة وحلفائهم الألمان . فقد استثمر الألمان والأتراك هذه الصراعات الداخلية بتُعيد تصدع العلاقات بينهم وبين أحمد الشريف . فمن وجهة نظر الأتراك والألمان كان المطلوب من أحمد الشريف تعليق أمر الجهاد ضدّ الطليان وفتح جبهة جديدة ضد الانجليز وهو أمر لا تستطيع أن تقوم به على أرض الواقع أى من القوى الداخلية المذكورة سوى أحمد الشريف . أما هو فكان يعتقد أنه من العبث أن يفتح على نفسه وقواته المحدودة الامكانات جبهة جديدة أكثر خطورة عليه من الإيطاليين وهناك عدد من الأولويات كانت بطبيعة الحال ماثلة أمامه قبل أن يقدم على عمل من شأنه أن يترك على كاهل قواته عبئاً جديداً ويجعله بالتالى تحت رحمة خصومه المحنيين وحلفائه الإنتهازيين . ويمكننا أن نعدّد هذه الأسباب والأولويات على النحو التالى :

١ — إن مصر كانت تشكل بعداً استراتيجياً له . فموانئها وواحاتها كانت نقاطاً حيوية

للاتصال بالسودان والحجاز وبقية البلاد الاسلامية علاوة على أن معظم المعونات كانت تصل عن طريق مصر .

٢ ـ العلاقات بينه وبين والانجليز كانت حسنة وذلك لتسامح الانجليز بمرور الأسلحة والذخائر التى كانت تصل من مصر أو عن طريقها . وكان البريطانيون والمؤن يغضون الطرف عن هذه النشاطات تودداً لأحمد الشريف واتقاء لأية مخاطر قد يقدم عليها في المستقبل . فالانجليز كانوا مدركين لأنشطة الألمان والأتراك ومحاولاتهم المتكررة لاقناع أحمد الشريف بالانضمام إليهم في معاداتهم للانجليز .

٣ ـ إن أحمد الشريف كان مدركاً أن حلفاءه الألمان والأتراك كانوا يستدرجونه ليجعل من الصحراء الغربية مسرحاً لحرب مع الانجليز وهو أمر قد يشاطرهم فيه الرأى ولكنه كان يرى أن تصفية العدوان الإيطالى يجب أن ينال أولوية قصوى فقيام حرب في الصحراء الغربية مع الإنجليز يشكل بطبيعة الحال معضلة استراتيجية أمام جيش أحمد الشريف الذى يعتمد أساساً في تنقلاته على الإبل والخيول. في حين أن الجيش البريطاني مسلح تسليحاً حديثاً ومزود بالسيارات المصفحة والعربات القادرة على عبور الصحراء بسرعة تفوق أسلوب مواصلات جيشه العتيق .

٤ ـ تردى الأوضاع الاقتصادية في البلاد وخاصة في برقة التى شهدت قحطاً دام عدداً من السنين من ١٩١٣ إلى ١٩١٧ وما نجم عنه من استفحال مرض الكوليرا (الكبة) . (١١)

وبالرغم من كل هذه الأسباب المقنعة التى جعلت أحمد الشريف يحجم عن شن هجوم على الانجليز ، فان الضباط الأتراك والألمان مارسوا أسلوباً ملحاً في سلسلة من المحاولات لإقناعه بصواب رأيهم في هجوم مباغت على الانجليز في مصر وطبقاً لرواية محمد صالح حرب الذى كان قائداً لأركان جيش أحمد الشريف فإن جعفر العسكرى يئس من اقناع أحمد الشريف بجدوى الهجوم على مصر ومن ثم اتجهت النية بين الضباط الأتراك العاملين في جيشه إلى الخلاص منه باعداد انقلاب ضده وتفجير خيمته (١٢)

---

١١ ـ أنظر المقدمة لمذكرات أنور باشا ص ٣٢ هناك أسباب أخرى كانت عوامل مساعدة عززت من عدم إقدام أحمد الشريف بالهجوم على القوات البريطانية فى مصر .

١٢ ـ

Philip H. Stoddard, The Ottoman Government and the Arabs 1911 to 1913 : A preliminary Study of the Teskilati Mahsusa. ph.D. dessertation, 1963, History Department. Princeton University p. 95.

ان رواية صالح حرب التى أوردها فيليب ستودارد كما وردت أعلاه تحتاج إلى مزيد من التوثيق والتمحيص .

وتنصيب شخص آخر من العائلة السنوسية أسهل انقياداً لمخططات منظمة التشكيلات المخصوصة غير أنه تم اكتشاف هذا المخطط ومن ثم ألقى القبض على سليمان الباروني وشقيق لاحمد الشريف يدعى محمد هلال وآخرين أرسلوا إلى جغبوب وبرغم اكتشاف هذه المؤامرة فإن الضباط الأتراك – بالتعاون مع بعض ضباط أحمد الشريف المتعاطفين مع محمد هلال – اصدروا أوامر مزيفة باسم أحمد الشريف باعلان الحرب على الانجليز وفجأة داهموا القوات البريطانية المرابطة في ميناء السلوم (دون علم أو رأى أو موافقة أو تدبير من أحمد الشريف) (١٣) وازاء هذه المباغتة التى كان على أحمد الشريف أن يحتاط لوقوعها انفرط زمام الموقف من يده فوجد نفسه هدفاً لهجوم مضاد من قبل الانجليز الذين لم يعرفوا حقيقة الأمر فما كان من أحمد الشريف إلا أن يقبل بالأمر الواقع الذى أوقعه فيه ضباط (التشكيلات المخصوصة) فاضطر إلى خوض عدة معارك حاسمة أهمها بئريونس والعقاقير .

ونتيجة لهذا الهجوم المفاجىء فان القوات البريطانية تقهقرت في بادىء الأمر واستولى أحمد الشريف على سيدى براني ومرسى مطروح وقد بهرت هذه الانتصارات بعض الضباط المصريين العاملين في الجيش البريطاني وأهمهم صالح حرب الذى تمرد على السلطات البريطانية وانضم إلى أحمد الشريف مع فرقة عسكرية قوامها مئة وخمسة وأربعون رجلا، غير أن الانجليز شنوا هجوماً معاكساً هزمت فيه قوات أحمد الشريف في موقعة العقاقير في شهر يناير ١٩١٦ وعندما تجلت فصول المؤامرة التى جرت جيشه إلى كارثة موقعة العقاقير أمر بالقبض على المشتركين في المؤامرة مع نورى بى وهم : أحمد مختار الطرابلسى وموسى اليمنى ، وبالقاسم العيساوى ، ونورى السعيد ، وجعفر العسكرى فأما الأخيران وهما ضابطان عراقيان فقد مكنا الانجليز من أسرهما خشية عدالة أحمد الشريف وتشكلت محكمة ترأسها كل من عبد العاطى المحيفظة العميرى من قبيلة أولاد على ومحمد بوشهبة المجبرى وقد حكما بالاعدام على أحمد مختار وبالقاسم العيساوى وكلاهما كان قائدا بارزا فنفذ حكم الاعدام بالرصاص في الأول أما الثاني فتمكن من الفرار وبعد موقعة العقاقير ظل أحمد الشريف يتقهقر بشكل ملحوظ إلى واحات الفرافرة وسيوة وجغبوب ومن ثم إلى جالو واوجلة والعقيلة حيث ظل هناك ثلاثة عشر شهراً يتضور جوعاً مع فلول جيشه .

لقد أدت الأدوار التى لعبها ضباط (التشكيلات المخصوصة) لاقحام أحمد الشريف في حرب خاسرة مع الانجليز إلى نتائج سلبية تركت انعكاستها على حركة المقاومة

---

١٣ – عبد المالك بن عبد القادر بن على ، الفوائد الجلية فى تاريخ العائلة السنوسية الحاكمة فى ليبيا . القسم الثانى دمشق : ١٩٦٦ ، ص ٤٢ .

في كل من طرابلس وبرقة منها ماقام به نورى بى قائد حركة ضباط تشكيلات مخصوصة في طرابلس وبرقة من سحب الضباط الأتراك العاملين في جيش أحمد الشريف وتوجه بهم إلى مصراتة وعند وصوله إلى هناك لم يآل جهداً في تعميق الخلافات وشحن روح العداء بين رمضان السويحلى وأحمد الشريف وخاصة بعد أن عسكر الأخير بفلول جيشه المنهك القوى في خليج سرت على أمل أن يواصل نضاله بصفته حاكماً لاقليم طرابلس الغرب وبرقة ، غير انه لما ثبت لمنظمة « التشكيلات المخصوصة » أن أحمد الشريف لم يكن أداة طيعة في أيدى أولئك الضباط الأتراك فانهم تركوه يهيم على وجهه بجيشه المثخن في سبيل الامبراطورية العثمانية وبدؤوا لعبة جديدة فاستصدروا مرسوماً سلطانياً آخر للمجاهد سليمان الباروني ليكون حاكماً على إقليم طرابلس وبرقة . وقد تمادى هؤلاء الضباط في غيهم فأضحت مؤامراتهم تزداد كل يوم وضوحاً . ويحدثنا في هذا الشأن محمد الأخضر العيساوى أن مجموعة من الضباط الأتراك حملوا خطابات من نورى بى إلى رمضان السويحلى يحذره فيها من التعامل مع أحمد الشريف ويحثه على نبذ طاعته واعداً إياه بمستقبل زاهر (١٤) وفي أواخر سنة ١٩١٦ م اشتد ساعد رمضان السويحلى وخاصة بعد أن أصبح المحور الوحيد الذى ارتكزت حوله نشاطات ضباط (تشكيلاتي مخصوصة) في الوقت الذى آل فيه نجم أحمد الشريف إلى الأفول تدريجياً وتفشى بين جنده الجوع والمرض . وعلى هذا النحو أصبح أحمد الشريف وجيشه الجائع محاصراً في خليج سرت لا يلوى على شيء سوى نسخة من المرسوم السلطاني بتعيينه حاكماً على الاقليمين . وأدرك بعد فوات الأوان أن ذلك المرسوم لن ينقذه وجيشه من الهلاك المحقق بعد أن أصبح بين خصمين شرسين : إدريس السنوسى سانده الايطاليون والانجليز في الشرق والتجمع الجديد المتألف من نورى بى ورمضان السويحلى وسليمان الباروني وعبد النبي بالخير في الغرب .

وقد عبر أحمدالشريف خير تعبير عن هذا الموقف فيما بعد في خطاب له أرسله إلى السيد عمر المختار مؤرخاً في ١٥ من شوال من سنة ١٣٤٢هـ واصفاً فيه الوضع الذى آلت إليه قواته بعد أن أصبح بين « نارين » على حد قوله « خط النار » الذى فرضه عليه إدريس السنوسى من الشرق وهو ألا يسمح لأحد من أعوان السيد أحمد أو جنده بتجاوز نقط معينة غربي اجدابيا في الوقت الذى عظم شأن التآلف الارستقراطى المذكور في منطقة مصراتة والمحاط برعاية منظمة(تشكيلاتى مخصوصة)وقد يكون من المناسب أن نقتطف

---

١٤ – أنظر الأخضر العيساوى : رفع الستار عما جاء فى كتاب عمر المختار . القاهرة : مطبعة حجازى ، سنة ١٩٣٦ ، ص ٣٦ .

جزءاً من ذلك الخطاب لندعم به ما ذكرناه سلفاً ، والكلام هنا موجه إلى عمر المختار :

« انني والله ثم والله مهتم بكم وبالوطن أكثر من اهتمامي بنفسي وأهلي ... أما خروجي من الوطن وسفري إلى بلاد الترك ، والله ماسافرت إلا جبراً على واضطراري فيما كنت فيه حيث كنت في العقيلة مابين نارين غربية وشرقية ، النار الغربية نار رمضان السويحلي وعبد النبي بالخير ومن تبعهم ، والنار الشرقية ، نار إدريس السنوسي الذي اتفق مع الطليان والانجليز وقاطعوني ومنعوني من دخول برقة والجبل الأخضر (١٥) .

ويلاحظ المتتبع لعلاقة أحمد الشريف بضباط التشكيلات المخصوصة أنه كان يتعامل مع الجناح الذي كان يدعمه أنور باشا وشقيقه نوري بي والمؤيدون لهما .

أما علاقته بمصطفى كمال طيلة الفترة من ١٩١٣ وحتى وصوله إلى تركيا في أوائل ١٩١٨ م فإن ما لدينا من وثائق تلتزم بالصمت . غير ان هناك صراعاً خفياً بين جناحي مصطفى كمال وأنور باشا في منظمة التشكيلات المخصوصة العثمانية ، ويجب ألا يخفى علينا أن تعامل أحمد الشريف مع خصوم مصطفى كمال لم يكن أمراً هيناً عليه برغم ما أبدى مصطفى كمال من مشاعر الود والإخاء له عقب الحركة الكمالية التي قام بها في تركيا . ان ارتباط اسم أحمد الشريف بحركة الجهاد الليبي في الفترة من ١٩١١ وحتى ١٩١٨ م أعطاه رصيداً سياسياً واسعاً خاصة في العالم الاسلامي الأمر الذي أقنع السلطات التركية باستغلال هيبته الاسلامية في إخماد عدد من الفتن والثورات التي استشرت في جهات متباينة من الامبراطورية العثمانية بفعل انتشار الروح القومي الذي كان يدعمه الاستعمار الانجليزي على وجه الخصوص في البلاد العربية .

إن خروج أحمد الشريف من حلبة الصراع في ليبيا زاد من هوة الفراغ السياسي وتطلب الأمر بطبيعة الحال إلى البحث عن هيكل سياسي جديد لسد الفراغ الذي خلفه الانسحاب التركي وهجرة أحمد الشريف وخروج إدريس من دائرة التعامل مع الأتراك والتزامه بخط التعامل مع الانجليز والتفاوض مع الايطاليين .

وهنا برزت شخصية عبد الرحمن عزام وهو أحد أعضاء منظمة التشكيلات المخصوصة السرية الذي لعب دوراً جوهرياً في إصلاح ذات البين بين زعماء حركة التآلف والجهاد

---

١٥ – خطاب مؤرخ في ١٥ من شوال ١٣٤٢هـ من أحمد الشريف السنوسي بالمدينة المنورة إلى عمر المختار بالجبل الأخضر . ويمثل هذا الخطاب رداً من السيد أحمد على خطاب سابق تسلمه من عمر المختار شديد اللهجة يلومه فيه على « سفره إلى بلاد الترك » كما يلوم فيه إدريس السنوسي على « هروبه إلى مصر ». أنظر مقالة الدكتور إدريس الحرير بكتاب : (عمر المختار) من منشورات مركز الجهاد سنة ١٩٨١ .

في منطقة طرابلس . وقد تمخض عن مساعيه خروج فكرة الجمهورية الطرابلسية بعد اخفاق كل المحاولات مع أحمد الشريف كما سبق أن رأينا (١٦) .

وتمثل فكرة ظهور الجمهورية الطرابلسية التي نالت دعماً من ألمانيا وتركيا آخر المراحل من المحاولات لسد الفراغ السياسي الذى أعقب الاجلاء التركى عن إقليم طرابلس الغرب وبرقة في أواخر ١٩١٢ ، فكل هذه المحاولات تعكس تماماً المصالح العثمانية في محاولات إبقائها على أى شكل من العلاقات مع مختلف القيادات المحلية لكى تضمن لها قدما في الإقليم حتى بعد توقيعها على معاهدة لوزان التي أملتها على الدولة العثمانية ظروف دولية شائكة .

إن هزيمة قوات أحمد الشريف على يد الانجليز عقب موقعة العقاقير أوجدت تقارباً طبيعياً بين الايطاليين والانجليز . فالتعاون بين هاتين القوتين الاستعماريتين تم في إطار استقطاب إدريس السنوسى ليكون بديلا لينا ليحل مكان خصمهما العنيد أحمد الشريف ، الذى اتضح له أن ابن عمه كان متعاوناً إلى أبعد الحدود مع أعدائه، سعياً وراء دعم موقفه من أجل تحقيق مصالح شخصية تمثلت في مزاحمته على زعامة الحركة السنوسية . لذا خشى أحمد الشريف مزيداً من الانشقاق بين صفوف جنده المثخنين وأدرك بثاقب بصره أنه في غنى عن إثارة قلاقل لا جدوى منها خاصة عندما علم أن أحد بنود الاتفاق بين ابن عمه والانجليز والطليان ينص صراحة على استبعاده من ساحة الجهاد وأمام هذه الظروف آثر أحمد الشريف أن يهجر ليبيا ولو مؤقتاً مؤملا العودة إليها .

وقد استجاب لدعوة وجهها له أنور باشا الذى كان وزيراً للحربية العثمانية وعقب وصوله إلى تركيا عصفت بها أحداث سياسية جاءت بمصطفى كمال إلى صدارة السلطة فيها . ونلاحظ هنا أن جناح منظمة التشكيلات المخصوصة الذى كان يدعمه أنور باشا ونورى بى فقد فاعليته بعد أن لمع نجم مصطفى كمال الذى استقطب أحمد الشريف إلى جانبه لكى يعزز به رصيده الاسلامى في نظر شعوب الأمبراطورية العثمانية التي كانت تساورها الشكوك إزاء التغيرات السياسية المتلاحقة التي نجمت عن انقلاب مصطفى كمال .

ويمكن أن نقسم العلاقة بين أحمد الشريف ومصطفى كمال في هذه الفترة إلى مرحلتين الأولى فيهما اتسمت بالمودة والصفاء ، وأما المرحلة الثانية فقد عرفت بالجفاء والتنافر

---

١٦ — من أراد الاطلاع على أدوار عبد الرحمن عزام فى حركة الجهاد فلينظر إلى مذكراته بعنوان : مذكرات عزام. المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر ، القاهرة سنة ١٩٧٥ . كما ان مركز الجهاد فى صدد نشر مذكرات لعبد الرحمن عزام سبق ان نشرها فى ألمانيا بعد سنة ١٩١٨ تتناول الأحداث السياسية ودور الأتراك والألمان فى ليبيا .

وانتهت بنفي السيد أحمد بأمر من مصطفى كمال من الأراضي التركية إلى الحجاز .

فعندما أعلن مصطفى كمال ثورته ضد السلطان العثماني كان مداوماً المراسلة مع أحمد الشريف الذى كان مقيماً في «بروسا» وكانت رسائل مصطفى كمال كما يصفها كاتب أحمد الشريف وهو الشيخ عبد المالك بن على تدور حول استدرار عطف أحمد الشريف وطلب مناصرته له في ثورته ضد السلطان العثماني . ففى سنة ١٩١٨ م تمكن مصطفى كمال من تحقيق انتصارات مرموقة ضد الحلفاء والقوات اليونانية الغازية لتركيا .

وقد أدرك مصطفى كمال الأثر الحسن الذى تركته حركته لدى أحمد الشريف فأراد أن يستغل هذا الشعور أحسن استغلال وحقق بذلك هدفين :

الأول : إن تأييد أحمد الشريف كشخصية إسلامية لها شأنها سوف يعطى حركته وزناً ويضفى عليها شرعية بين شعوب الأمبراطورية الاسلامية .

أما الهدف الثاني الذى حققه مصطفى كمال من استقطاب أحمد إلى حركته فيكمن في عزله عن دائرة نفوذ أنور باشا صهر السلطان العثماني وخصم مصطفى كمال التقليدى عندما كانا ضابطين يجاهدان مع أحمد الشريف في برقة .

ويبدو مما تركه لنا كاتب أحمد الشريف السابق الذكر الذى كان يرافقه في تركيا حينئذ ، أن مسألة تأييده لحركة مصطفى كمال ضد السلطان أخذت منه وقتاً طويلا نظراً لتحذير السلطان له من مغبة مساندته المعنوية للحركة الكمالية التى كان السلطان يعتقد أنها سوف تكون خطراً ماحقاً على الاسلام في تركيا . ويهمنا في هذا المقام أن نقتبس إحدى الرسائل التى بعثها صهر السلطان المدعو خالد درويش التى يقول فيها لأحمد الشريف مايلى :

« يا مولانا يا خادم الاسلام ، يافرع الدوحة النبوية ، إياك ان تغتر بمظاهر الدين التى يصطنعها مصطفى كمال للوصول إلى غايته فانى ربيته في بيتى وبين عائلتى وعرفت ظاهر أمره وباطنه فما في قلبه ذرة من إيمان أو خوف من الله أو مبالاة بما يعمله ، ودينه هواه ، ولو تمكن لأضر بالاسلام والمسلمين.. » (١٧) .

غيران أحمد الشريف لم يبال بما سمع عن مصطفى كمال بل قرر أن ينتقل من «بروسا» إلى « اسكى شهر» التى كان يهيمن عليها مصطفى كمال وتمادى في تأييد الثورة الكمالية وساهم مساهمة كبيرة بتجواله بين مختلف طبقات الشعب الذين رحبوا بمقدمه

١٧ – أنظر كتاب عبد المالك بن عبد القادر بن على ، ج ٢ ص ٥٨ . قابلت المؤلف نفسه فى يوم ١٢ و١٣ من ابريل سنة ١٩٨٣ وتحدثت معه فى أمور كثيرة تتعلق بأدوار أحمد الشريف الحيوية التى عززت موقف الثورة الكمالية .

فكان يخطب فيهم داعياً إياهم إلى مساندة الحركة الكمالية ورفع عصا الثورة ضد الحلفاء الغزاة وفي «اسكى شهر» استقبله عصمت باشا الذى أصبح رئيساً للوزارة التركية فيما بعد وأقيمت له الحفلات الترحيبية وخطب في الاحتفال الذى أعده له عصمت باشا قائلا : «إنكم اليوم بميدان الشرف وانكم الآن بعملكم هذا تعيدون للاسلام عزه ومجده وتنفضون عنه الغبار الذى علق به وتخلدون بطولتكم وتكتبون في صحائف التاريخ الاسلامى أسماءكم من نور وعليكم أن تتموا هذه الرسالة العظيمة » (١٨) .

ولما انتقل أحمد الشريف إلى أنقرة استقبله مصطفى كمال في محطة السكة الحديدية برفقة أعضاء مجلسه الثورى كافة وتحادث معه في أمور كثيرة تهم العالم الاسلامى ومستقبل الأمة الاسلامية وكان من جملة ما ناقشه مع أحمد الشريف مستقبل الخلافة الاسلامية كنظام عارضاً عليه منصب نيابة الخلافة وذكر مصطفى كمال بالحرف الواحد أن حكومته الجديدة استكملت كل المناصب الوزارية ولم يبق شاغراً سوى منصب الخلافة قائلا : «إن مقام نيابة الخليفة لم نجد له من يليق به إلا سيادتكم ونرجو أن تتموا لنا هذا النقص في جهازنا ولكم علينا ميثاق الله وعهده أننا سنقوم بكل ما يترتب علينا نحو هذا المقام» : وأضاف مصطفى كمال بعد ذلك في معرض حديثه عن واجب الجهاد المقدس : «وفي الحقيقة ما تعلمت هذه الدروس المفيدة : – يعنى الجهاد . ولا تسربت في جسمى هذه الروح الأبية إلا في مدرستكم التى أستموها لنا في برقة المجاهدة وها أنتم اليوم تؤسسونها عندنا من جديد ... وأنت الأب وأنا الإبن وكل ماتراه صالحاً مُرْنَا به ونحن على أتم الاستعداد للتنفيذ وفي اتباعنا لكم شرف لنا » (١٩) .

وتمثل هذه الفترة أوج الصداقة الحميمة بين مصطفى كمال وأحمد الشريف ففى الوقت الذى اشتعلت فيه ثورة طوبال عثمان « الأعرج» قام الأكراد في ديار بكر بثورة ضد حكومة مصطفى كمال وعندما كانت القوات الكمالية منشغلة في تهدئة ثورة طوبال عثمان توجه أحمد الشريف بتكليف من مصطفى كمال إلى أكراد ديار بكر وهدأ من روعهم وأقنعهم باسم الاسلام أن حكومة مصطفى كمال قامت من أجل اسعاد المسلمين كافة وطرد الأعداء الكفار المتربصين لهدم دولة الاسلام وشعائرها وتقدم الأكراد بمضبطة تحمل توقيع ألف وخمسمئة شيخ من بينهم مؤكدين فيها قبول وساطته بعدم الانفصال عن دولة مصطفى كمال الفتية (٢٠)

---

١٨ – نفس المصدر ، ص ٥٩ – ٦٠ .
١٩ – نفس المصدر ، ص ٦١ .
٢٠ – نفس المصدر ، ص ٦٤ .

غير أن هذه المضبطة أو العريضة كانت مذيلة بشرط أن تقام ولاية كردية يتولى رئاستها أحمد الشريف نفسه غير أن كاتب أحمد وصف لنا موقفه بقوله : إنني مجمع ولست بمفرق ، ومصلح ولست بمفسد ، وكيف أرضى بشيء لم أرضه لكم وهذا معناه كسر شوكة الاسلام ومساعدة العدو المتكالب على ابتلاع دين الاسلام ولا وراء هذه الآمال من نتيجة تنفعكم ونصيحتي لكم ورضائي عنكم في قبول وساطتي واكرام وفادتي ببقائكم على العهد الذى قطعتموه سابقاً لحكومة مصطفى كمال ومناصرتكم لها وابعاد المفسدين الذين يزينون لكم هذه الأماني الخلابة المضرة » (٢١) .

وانتهت وفادته بقبول الأكراد الانصياع للحكومة الكمالية ، وبينما كان أحمد الشريف ينتقل بين سوريا والعراق مهدئاً المتذمرين من الحكومة الكمالية من عرب وأكراد بينما هو كذلك اشتد الهجوم اليوناني على أنقرة وطبقاً لرواية الشيخ عبد المالك فقد كان السيد أحمد مهتماً أشد الاهتمام بهذا الأمر خاصة بعد أن تسلم برقيات متعددة من مصطفى كمال يشكو فيها من ضراوة الهجوم اليوناني . ففى إحدى هذه البرقيات يطلب مصطفى كمال من أحمد الشريف قائلا : اضرعوا إلى الله أن يدركنا بعنايته (٢٢) وفي هذا الصدد يدوّن لنا كاتب أحمدالشريف أنه لم ير البتة كذلك الامتعاض الذى ظهر على أحمد الشريف في تلك الأيام لأن العالم الاسلامى كان نهباً منهوبا وكان يؤمل في انتعاشه إذا ما قامت الحكومة الكمالية على قدميها . وكان رد أحمد الشريف برقياً على مصطفى كمال يقول: « ثق من الله بالنصر يأتك الغوث إن شاء الله تعالى » (٢٣) .

ثم انتدب إليه على وجه السرعة وفداً برئاسة المجاهد الليبى محمد بن عبد الله الميهوب الزوى حاملا معه مصحفاً وسيفاً وبرنوساً خاصاً بأحمد الشريف وخطاباً يقول فيه لمصطفى كمال ما يلى : « بعثت إليك بمصحف الأمان وسيف النصر وكسوة العزّ والفوز إن شاء الله » ويصف لنا الشيخ محمد بن عبد الله الميهوب الزوى انه لما وفد إلى مصطفى كمال وهو منشغل في تعبئة جيوشه للهجوم المضاد على اليونانيين وهو على نهر صقاريا استقبله بحفاوة منقطعة النظير برغم انشغاله بالاعداد لذلك الهجوم ، ولما سلم الشيخ الميهوب هدايا أحمد الشريف لمصطفى كمال قام الأخير على الفور وارتدى البرنوس وامتشق السيف وعلق المصحف الشريف تبركاً به ثم تقدم وصلى ركعتين في الحال بحضور أركان حربه عصمت باشا وفيوزى باشا والشيخ الميهوب نفسه ، وأعلن على الفور بداية هجومه الشهير على اليونانيين

---

٢١ – نفس المصدر ، ص ٦٤ .

٢٢ – نفس المصدر وقد تحدثت مع المؤلف فأفاض فى هذا الموضوع أنظر ص ٦٥ .

٢٣ – نفس المصدر ص ٦٦ .

الذى كلل بالنصر المبين . وينقل لنا مندوب أحمد الشريف ، الشيخ الميهوب انطباعات مصطفى كمال فيصفه أنه كان في غاية السرور بعد أن تحقق له تهدئة الأكراد على يد أحمد الشريف وانتصاره الساحق ضد اليونانيين الذى بشره به أيضاً . وفي أوائل سنة ١٣٤١هـ عاد أحمد الشريف من ديار بكر متجهاً إلى أزمير التى تمكن مصطفى كمال من طرد اليونانيين منها ومن جميع تراب الدولة التركية وأقيمت بمناسبة هذه الانتصارات الباهرة احتفالات كثيرة . وفي أنقرة وفد أحمد الشريف إلى صديقه مصطفى كمال مهنئاً باحتفالات النصر وأقام عنده ضيفاً أسبوعين كاملين ثم عاد إلى طرسوس . وبينما كان أحمد الشريف يقيم هناك قام مصطفى كمال بجولة تفتيشية في منطقة الأناضول وعرج على ولاية أضنة وجاء خصيصاً لزيارة أحمد الشريف الذى احتفى بمقدم صديقه وزعيم تركيا المرتقب الذى أصبحت ترنو إليه الأبصار وأقيمت حفلة كبيرة على شرف مصطفى كمال حضرها قادة كثيرون ، وبينما الجميع يلتمسون الجلوس إلى مقاعدهم على المائدة التى أعدها أحمد الشريف وقف مصطفى كمال خاطباً بالتركية موجهاً حديثه لقادته العسكريين الحاضرين معهم قائلا : «أيها الاخوان اسمحوا لى أن أعرفكم بمن نحن في حضرته وعلى مائدته ، نحن في حضرة فخر المسلمين وحفيد سيد المرسلين ، المجاهد السيد أحمد الشريف السنوسى ، معلمنا الأول ومؤسس أول مدرسة في برقة كنا وفدنا إليها وتلقينا دروس الجهاد والمقاومة والدفاع عن النفس والدين والوطن بها ، ويشير مصطفى كمال بإصبعه السبابة إلى أحمد الشريف الجالس أمامه قائلا : هذا هو الذى غرس في نفوسنا شجرة الدفاع الثابتة وهو الذى آزرنا في محنتنا القاسية وشجعنا بأفكاره وآرائه الصائبة حتى نلنا شرفنا وعزتنا وأنقذ من براثن الأعداء بلادنا فله منى ومن الحكومة العلية والشعب التركى كمال الشكر والتقدير » (٢٥) .

ثم رد عليه أحمد الشريف قائلا وهو جالس : « الشكر لله وحده هو الذى أيدكم ونصركم ومزق أعداءكم بسبب جدكم واجتهادكم وتوحيد صفوفكم ونرجو من الله لكم مزيد التوفيق » (٢٦) .

إلا أن العلاقة بين مصطفى كمال وأحمد الشريف تبدلت تبدلا جوهرياً عقب خلع مصطفى كمال للخليفة الصورى عبد المجيد ، فلما علم أحمد الشريف بعزل ذلك السلطان علق

---

٢٤ – نفس المصدر ، ص ٦٦ .

٢٥ – نفس المصدر ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

٢٦ – نفس المصدر ، ص ٦٩ .

قائلا : « مازال أحمد الشريف » (٢٧) وأعقب خلع السلطان العثماني تغيرات جوهرية في القوانين والأحكام الشرعية الأمر الذى زاد أحمد الشريف انزعاجاً كبيراً على مستقبل الاسلام والمؤسسات الاسلامية في تركيا الجديدة، فلم يسكت على هذه التطورات وخاطب صديقه مصطفى كمال قائلا له : « لم نناصرك ونقف معك إلاّ لأجل حفظ كيان الدين الاسلامى (٢٨)» وطلب إليه أن يعيد النظر عاجلا في آرائه واجراءاته التى أدت إلى هدم أهم وأخطر المؤسسات الاسلامية ألا وهى حل الخلافة الاسلامية كمؤسسة شرعية ونظام سياسى للحكم الاسلامى .

إلا ان مصطفى كمال لم ترق له هذه النصائح وعدّها تدخلا صريحاً في سياسته المرسومة ، وتبع ذلك باجراءات تنكرية وتعسفية ضد أحمد الشريف فألغى الحرس الخاص معه وشدّد الرقابة على كل ما يتصل به وأوقف المساعدات المالية التى كانت مخصصة له من الحكومة وانتهت هذه العلاقة المضطربة بين أحمد الشريف ومصطفى كمال وغيره من الضباط الأتراك بتوجيه تهمة له بالاتصال ببعض أمراء بنى عثمان واتّهم في مجلس مصطفى كمال الملّى بتهمة الخيانة وطُلب إليه عن طريق والى ولاية أضنة أحد الخيارين إما أن يغادر تركيا في بحر عشرة أيام أو أن تفرض عليه الإقامة الجبرية في إحدى القرى التركية(٢٩)فآثر أحمد الشريف الهجرة إلى مكة والمدينة بقلب دام إزاء تردى دولة الخلافة وتمزق مؤسساتها .

يتضح لنا من الاستعراض التحليلى السابق للعلاقات بين أحمد الشريف ومصطفى كمال وغيره من ضباط التشكيلات المخصوصة التركية التى أصبحت في المنظور التاريخى علاقة بين شعبين ، يتضح أن كلا الطرفين ظل محكوماً في تنميط علاقاته بالطرف الآخر بخلفيات تاريخية وعوامل ايديولوجية مميزة ظلت على درجة كبيرة ، ومن الصعوبة بمكان أن يتقاربا تقارباً حيوياً وفعالا برغم ما كان يحفّ مستقبل شعبيهما من مخاطر تمثلت في المدّ الاستعمارى المهدّد لوجودهما التاريخى والحضارى .

---

٢٧ – توقع أحمد الشريف أن دوره قد جاء وأن علاقاته مع مصطفى كمال أخذت تحفها المخاطر بسبب جنوح الاول وتبديله لنظم ومؤسسات الخلافة واستبدال مؤسسات علمانية بها . أنظر نفس المصدر ص ٧١ .

٢٨ – أنظر نفس المصدر ص ٧١ .

٢٩ – نفس المصدر، أنظر ص ٧٣ . طبقاً لرواية كاتب السيد أحمد الشريف عندما تسلم الأخير تعليمات مصطفى كمال بمغادرة تركيا علق قائلا : « كنت أتوقع هذا منذ خلع السلطان عبد المجيد، لأن بقائى فى تركيا لا يروق لمن يريد أن يتلاعب بأمر الشرع الشريف ويطمس معالم الدين الحنيف وانى اختار الخروج من تركيا وهذا جزاء معاضدتى ومناصرتى لها وسوف تخسر تركيا ميزتها بين الشعوب العربية والاسلامية » .

فأحمد الشريف على الرغم من كسره لطـوق العزلة التقليدى الـذى واكب علاقات أسلافه بالسلاطين العثمانيين ، فإنه فات عليه أن يحتاط في موازنة علاقاته الجديدة مع الزعماء الأتراك المتقدمين بدون أن تتأثر حركته الجهادية سلباً وخاصة ضد العدوان الإيطالى .

وبالرغم من التشكك الذى أبـداه أحياناً في التعامل مـع أصدقائه وحلفائه الأتراك والألمان في أثناء ضغطهم عليه من أجل شنّ الحرب على الانجليز في مصر لم يتخذ خطوات فعالة من شأنها أن تحسم علاقاته معهم بحيث لا تؤثر سلباً على حركة الجهاد كما حدث تماماً بعد هزيمة قواته أمام الانجليز في الصحراء الغربية ، تلك الهزيمة التى فتحت باب التفاوض مع بريطانيا وإيطاليا على حساب فعالية حركة الجهاد في المنطقة الشرقية وإطاراتها المتطرفة من جانب وفتح الباب أمام طغيان الزعامات القبلية المتآلفة مصلحياً بين صفوف قادة حركة الجهاد في المنطقة الغربية .

ولعل أحمد الشريف استدرك ذلك بمحاولته العودة إلى ساحة الجهاد من جديد بعد حصوله على العون التركى . واعتقد مجتهداً أن تأييده لمصطفى كمال في صراعه على السلطة قد يكون هو السبيل الأمثل لتحقيق ذلك الهدف .

فمن ناحية فإن أحمد الشريف لم يدرك تماماً نفسية مصطفى كمال برغم تحذيرات السلطان العثماني له من مغبة التعامل معه ومن ناحية أخرى فإن مصطفى كمال استغل سمعة أحمد الشريف الإسلامية الواسعة من أجل إضفاء الشرعية على حركته الكمالية وتبديد ظلال الشكوك التى كانت تثار حولها بين طبقات الشعب التركى المتشبث بأطر الخلافة الإسلامية ومؤسساتها في الحكم .

وفي الواقع كان مصطفى كمال قائداً وظاهرة سياسية لم يسبق للدولة العثمانية أن رأت مثيلا لها في الأسلوب والعمل ليس من أجل تحقيق تحولات جذرية في أنظمة الحكم والإدارة فحسب بل أيضاً في بتر العلاقات الحية والفعّالة بين الشعب التركى والشعوب الإسلامية الأخرى وخاصة العربية منها حتى وقت ليس ببعيد . فمصطفى كمال كان في إطار علاقاته مع أحمد الشريف يظهر ما لا يبطن متعللا بانجاز سبل النهوض والتحديث على النمط الأوروبي قاطعاً الأمل وباثاً اليأس في امكانية تبديد الحياة في المؤسسات الشرعية التى قامت عليها مؤسسات الخلافة التى قوّض ركائزها بنفسه .

إن عدم إخلاص مصطفى كمال في منهجه الاسلامى جعل أحمد الشريف في موقف يصعب عليه التنبؤ بسياسة ومواقف مصطفى كمال إزاء « القضية الطرابلسية » . إلا أن هذه المسألة حسمت بإثارة شكوك مصطفى كمال ومجلسه المللى حول موقف أحمد الشريف والتعاون مع أمراء بنى عثمان للإطاحة بالحركة الكمالية . وهى بطبيعة الحال تهمة بررت

مؤقتاً طرد أحمد الشريف من الأراضي التركية في غضون عشرة أيام .

إن البحوث العلمية المتأنية بعيداً عن إطار الإدانة التاريخية ستكشف بدون شك سبلا نيّرة لعلها تكون خير دليل لبناء علاقات إيجابية وفتح آفاقٍ جديدة في تاريخ العلاقات بين الشعبين المسلمين العربي الليبي والتركي .

العنوان: العلاقات بين السيد أحمد الشريف ومصطفى كمال أتاتورك وأثرها على الجهاد الليبي

المصدر: مجلة الشهيد

الناشر: المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية

المؤلف الرئيسي: الحرير، عبدالمولى صالح

المجلد/العدد: ع4

محكمة: نعم

التاريخ الميلادي: 1983

الصفحات: 173 - 194

رقم MD: 813124

نوع المحتوى: بحوث ومقالات

اللغة: Arabic

قواعد المعلومات: HumanIndex

مواضيع: العلاقات السياسية، السنونسي، أحمد الشريف، مصطفى كمال أتاتورك، رئيس تركيا، الغزو الإيطالي لليبيا

رابط: http://search.mandumah.com/Record/813124